ملاحظات حول : (معجم ألفاظ الفلاحة في شمال الأردن)(*)
للدكتور عبد العزيز طشطوش

بقلم : الدكتور محمد علي الزركان
كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة حلب ـ سوريا

دأبت المجامع اللغوية العربية واتحاد هذه المجامع في مؤتمراتها واجتماعاتها على تكرار توكيد توصيات كانت قد اتخذتها في أمرين أساسيين هما :

أ ـ استكمال التعريب في الدول العربية التي لم تبدأ به أو لم تستكمله بعد في الجامعات والمؤسسات العلمية.

ب ـ استخدام العربية الفصحى في وسائل الإعلام وفي المسرح والتلفزيون والسينما...

وقد صدر توكيد أخير عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته التاسعة والخمسين التي عقدها بين 12 و 25 من شهر نيسان (أبريل) 1993، إذ أوصى الدول والحكومات ووزارات الإعلام العربية بالعمل على إنجازها لأنها قضية قومية، وجزء من شخصيتنا العربية... ! هذه التأكيدات التي جاءت في وقت تباطأت فيه حملة التعريب في عدد من الجامعات العربية ومراكز التعليم العالي والدوائر والوزارات في عدد من دول المغرب العربي، وطغت اللهجات العامية المحلية على كثير من الإنتاج المسرحي والسينمائي والتلفزيوني، فسيطرت هذه اللهجات على معظم أقنية البث التلفزيوني العربية، وامتدت إلى بعض محطات الإذاعة العربية، في حين لا تزال فيه محطات الإذاعات الأجنبية الموجهة إلى العالم العربي مثل محطة ال B.B.C البريطانية تستخدم في بث برامجها اللغة العربية الفصحى السليمة نطقا ونحوا وصرفا، وإنها لا توظف إلا المذيعين القديرين الأكفاء لغويا، بخلاف بعض الإذاعات العربية التي لا يستطيع كثير من مذيعيها قراءة نشرة الأخبار قراءة صحيحة دون أخطاء نحوية أو صرفية.

فالاهتمام باللهجات العامية العربية المحلية ظاهرة ابتدعها بعض المستشرقين والمستعمرين لغايات معروفة، كان القصد منها إقصاء الفصحى عن التداول والاستعمال.

وهناك بعض من المستعربين الذين تأثروا بأفكار المستشرقين والمستعمرين فصاروا يدعون بدعواتهم، وينادون بأفكارهم باعتماد اللهجات العربية العامية والترويج لها واعتمادها لغة الحديث والكتابة، ويقصدون بذلك إبعاد أبناء الأمة العربية الواحدة عن لغة العروبة والإسلام وتفريقهم إلى شعوب وقبائل وأمم لا تجمعهم جامعة ولا تربطهم رابطة. حتى إن بعض هؤلاء الأدعياء نادى باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية والكتابة بها، وذلك كما فعلت تركيا

(*) المعجم نشر في العدد 35 من مجلة (اللسان العربي) العام 1991.

في مطلع العشرينيات، ولكن فألهم خاب، وما كانت دعواتهم إلا سحابة صيف ما فتئت أن تقشعت

وبين حين وآخر يطالعنا بعض الباحثين بدراسة لهجة عامية دارجة لمدينة أو لمنطقة عربية معينة، أو يؤلف قوائم مفردات للكلمات المستعملة في الحديث اليومي أو في مهنة من المهن، وذلك كما فعل الزميل الدكتور عبد العزيز طشطوش، حينما نشر قوائم مفردات على أنها معجم لألفاظ الفلاحة في شمال الأردن، فقال في مطلع بحثه :

«يتناول هذا المعجم ـ كما هو واضح من عنوانه ـ **الألفاظ** المستخدمة في اللهجة المحلية في مجال الفلاحة، نحو أسماء الزرع والأراضي الزراعية والأمطار وغير ذلك ... والمرجو من هذا العمل حفظ التراث الأردني في أحد جوانبه وهو الجانب الزراعي، ويأتي ذلك ضمن اهتمام مركز الدراسات الأردنية وتوجهاته في توثيق التراث والحياة الأردنية في مناحيها المختلفة الذي هو نهاية، جزء من التراث».

ولكن الباحث يعلم حق العلم أن مثل هذه الأعمال لا تقدم ولا تؤخر، إلا إذا كان الهدف منها تأصيل هذه المفردات العامية الدارجة وربطها بالفصحى، وإذا لم يكن ذلك فإن ضررها أكثر من نفعها للأسباب التي سبق ذكرها.

ولعل الباحث يدرك تماما أن شمال شرق الأردن ما هو إلا جزء من بلاد الشام، بل ما هو إلا امتداد لجنوب منطقة حوران السورية التي تجمعها لهجة واحدة. فهذه المفردات التي سردها الباحث موجودة في أماكن كثيرة من بلاد الشام بل وفي أماكن أخرى من البلاد العربية، وليست مقتصرة على شمال شرق الأردن وحده. ففي ظني أن هذه المنطقة التي حددها الباحث لا تشكل بمفردها منطقة جغرافية بشرية مستقلة متميزة.

لقد سرد الباحث 195 مفردة سماها (ألفاظ الفلاحة في شمال الأردن) ابتدأها بمصطلح (أرض الجراب) الذي شرحه قائلا : «هي الأرض التي تترك دون زراعة طول الموسم، وذلك لضمان إنتاج أفضل في الموسم القادم....» فلو حققنا في كلمة (الجراب) لوجدناها تعني مساحة الأرض واتساعها، فهي محرفة عن كلمة (الجريب) وهو مساحة من الأرض يبذر فيها مقدار مكيال الجريب الذي يعادل أربعة أقفزة من أي نوع من الحبوب[1]، فكلمة جراب تعني المساحة لا وصف الأرض التي تترك بدون زراعة، أما هذه فتسمى أرض الحيال لأنها تترك حولا كاملا دون زرع.

ثم أورد المفردات التالية : البذار والبقر والبيدر والتيس والثني والثور والجراب والجريش والجدي والجلد والجلال والجمل المفطر[2]، والجمل القعود والحايل والحداجة والحوار والحولي... الخ وكأن لهجة شمال شرق الأردن مختصة بهذه المفردات دون سواها من المناطق الشامية الأخرى بل والعربية. فهل يوجد قطر عربي يجهل هذه المسميات ولايسميها بهذه الأسماء ؟!

ولقد شرح الباحث بعض هذه المفردات شرحا بعيدا عن المعنى الحقيقي الذي وضعت له، فقال مثلا في شرح كلمة (الحداجة) : عبارة عن جلال ـ قطعة من الخيش محشوة بالقش ـ توضع على ظهر الجمل وتخصص لنقل الحبوب بوضع الشوالات على جانبي الجمل، وربطها بقطع خشبية مثبتة فوق الجلال ...الخ» لكننا نلاحظ أن هذا

(1) انظر : معجمي الصحاح وأساس البلاغة وغيرهما.
(2) وصوابه (الفاطر) كما يسميه أهل البادية وكما هو في الفصحى.

الشرح يحتاج إلى شرح، فمثلا كلمة (الخيش) كلمة محلية لا يعرفها كثير من العرب القاطنين في أماكن أخرى، ولا يعرف قصده منها. فهل يريد بها (الجوت) الهندي، أو (الجنقاص) وهو كذلك نبات هندي، أو (الصوف) المعروف ؟!. وكان الأولى بالباحث أن يوضح نوع النسيج المصنوعة منه الحداجة. ثم قال : إنها ـ أي الحداجة ـ تخصص لنقل الحبوب. فهل هي حقا مخصصة لنقل الحبوب فقط ؟ وفي ظني أن هذا الشرح خاص جدا، فالحداجة ليست مخصصة لنقل الحبوب فقط، بل هي شبيهة بجلال الدابة توضع على ظهر الجمل أو الناقة للمساعدة على الركوب والحمل، فهي تحيط بالسنام. ثم قال الباحث في شرح الحداجة : «وربطها بقطع خشبية» ولكنه لم يسم هذه القطع ولم يصفها ويبين شكلها وحجمها حتى يفهمها القارىء، فهل هي صغيرة أو كبيرة، طويلة أو قصيرة ؟ فكان على الباحث أن يسميها بما سماها به أهل البادية وهي كلمة (الشظاظ) وكأنه نسي المثل البدوي القائل :«إذا جاع البعير أكل من حداجته» وهو يضرب لمن ضاقت عليه سبل العيش، فبدأ ينفق من حاجات بيته.

ثم إن المجال لا يتسع للوقوف عند كل تسمية نقلها الباحث فالمآخذ عليها كثيرة، فأكثرها يحتاج إلى تصحيح وتوضيح، فما أوردناه هنا من ملاحظات كان على سبيل المثال لا الحصر. هذا فضلا عن الأخطاء اللغوية والنحوية والأسلوبية التي كانت كثيرة يصعب سردها في هذه العجالة، ففي الصفحة 191 رفع ما حقه النصب في كلمة (جريش) وفي الصفحة 192 رفع ما حقه النصب في كلمة (متشابهان)... وهكذا فإن الملاحظات كثيرة لا تكاد تخلو منها فقرة واحدة من البحث، وما أوردناه منها كان على سبيل المثال لا الحصر.

* * *